بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

سماحة العلامة يوسف القرضاوي

الحمد لله الذي أنزال الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وأرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق ، ليبين للناس ما نزل إليهم ، ليكون هدى وبشرى ورحمة للعالمين ، وهدى علماء الأمة ، ليقتبسوا من هذا النور ، ويوجهوا الأمة إلى صراط ربهم المستقيم . فصلى الله عليهم ورضي عنهم وعمن اهتدى بهداهم ، وسلك سبيلهم إلى يوم الدين .

(بعد)

فقد وجدنا أن أفضل ما يهتدي إليه الإنسان ؛ أن يوفقه الله لاختيار منهج الإيمان بالله تعالى ربا للكون ، وبارئا للإنسان ، وواهبا للحياة ، وممدا بكل النعم العظمى التي أسبغها على الإنسان ظاهرة وباطنة ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم: ٣٤) .

ومما يحمد الإنسان ربه عليه جل جلاله أن يشرح صدره ليعرف طريق الإيمان الصحيح ، وهو طريق رسل الله وأنبيائه الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ابتداء من نوح عليه السلام ، الذي قال الله تعالى لمحمد ﷺ في شأنه : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾(النساء:١٦٣) إلى أن ختمهم بمحمد عليه الصلاة والسلام الذي قال الله فيه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

(الأحزاب: ٤٠) .

ولم يدعنا الله جل شأنه دون مرجع أساسي نلتزم به ، ونعود إليه ، فيحكم بيننا فيما نختلف فيه ، ويفصل بيننا فيما نتنازع فيه ، فهو وحده الحكم العدل ، والميزان الحق ، عندما تتضارب العقول ، أو تلتبس الآراء ، أو تختلف الأهواء . ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة:٢١٣) .

ولهذا علمنا النبي ﷺ أن نلتجئ إلى الله سبحانه ، لندعوه ونتضرع إليه أن يهدينا لما اختلفنا فيه من الحق بإذنه فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته : «اللهم رب جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1] .

ومن هنا كان القرآن العظيم هو النور الأعظم ، والدستور الأكرم ، والمرجع الأقوم ، لأمة الإسلام أو أمة محمد عليه الصلاة والسلام . فهو قانون السماء لهداية الأرض ، ودستور الخالق لإصلاح الخلق .

وقد وصفه منزله سبحانه بالشمول والتكامل لكل الجوانب التي تحتاج إليها البشرية ، التي تتطلع إلى القيم الرفيعة ، والمثل العليا ، في بلوغ الحق والخير والجمال . أما سنة النبي الكريم ، فهي شرحه النظري ، وتطبيقه العملي ، والمساعد على حسن فهمه كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل:٤٤) .

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٠) .

ولا عجب أن وجدنا علماء الأمة وأئمتها وقادة فكرها ، في كل عصر من الأعصار ، وفي كل قطر من الأقطار ، يتوافدون على هذا المرجع الإلهي الأكبر ، يغترفون منه ما استطاعوا ، ويقتبسون من أنواره ما قدروا عليه ، يحاولون تفسيره وتأويله ، ويبتغون فهمه وتحقيقه . ليهديهم سواء السبيل ، وليأخذ بهم إلى أقوم قيل . إلى جوار ما كان لهم في خدمة السنة النبوية وتوثيقها وربط الناس بها ، تتميما لحسن فهم الكتاب الكريم .

وقد حاولت أن أحشر نفسي مع هؤلاء الكبار ، الذين خدموا المصدرين ، والذين نفعوا الأمة بتراثهم الكريم ، وبتفسيراتهم القيمة ، وببحوثهم الناضجة ، فنحن بهداهم نهتدي ، وبآثارهم نقتدي ، ونجتهد أن يكون لنا أثر يذكر فيما وفقهم الله إليه في فهم كتاب الله ، وشرحه لجمهور المسلمين ، وتيسيره وتفسيره لهم ، حسب ما نقدر عليه ، وما يهدينا الله إليه ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:٨٨) .

ولذا قدمنا تفسيرنا لسورة الرعد ونشرناه ، ثم بعدها سورة إبراهيم ، ثم سورة الحجر ، هذه التي كتبنا لها هذه المقدمة .

وأود أن أذكر هنا حقيقة مهمة ، هي أن هذا التفسير الذي قدمته في هذه السور الكريمة ، ينفرد بأنه (تفسير شفوي) لم أقدمه مكتوبا ككل التفاسير . ولكنه (تفسير مسجدي) هو من دورس المساجد . وقد قدمت هذه السورة في قطر ، في مسجد عمر بن الخطاب أولاً ، ثم في مسجد الشيوخ بالدوحة .

وقام على خدمة سورة الرعد أولاً الأخ الكريم محمود عوض . وقام الإخوة في مكتبي العلمي على خدمة الباقي ، وخصوصًا الأخ الفاضل : إسماعيل إبراهيم متولي وفقه الله وأكرمه ، ثم انضم إليهم من مركز القرضاوي للوسطية والتجديد العالم السوري الحلبي الأستاذ : مجد مكي . فقام بدور مشكور ، أسهب فيه أحيانا بعض الشيء ، فطلبت منه أن يختصره ، حتى لا نكثر على القارئ ، ويخرج

الكتاب عن مهمته الأصلية . وقد شرح الشيخ مجد ما عمله في مقدمته للكتاب . جزاه الله خيراً .

ثم أعملت فيه قلمي ، في تغيير بعض العبارات التي اقتضاها الارتجال ، وأبديت ما لا بد منه من ملاحظات ، ورجعته وأقررته على الصورة التي هو عليها الآن .

وبهذا نكون قد أدينا بعض الواجب للمصدرين الأساسيين عندنا : القرآن العظيم ، وسنة نبينا محمد ﷺ . فمن اعتمد عليهما واعتصم بهما فقد هدي إلى صراط مستقيم : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء:٦٩) .

الدوحة في : ٢ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ
٢٥ مارس ٢٠١٢م

الفقير إلى الله تعالى

يوسف القرضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وآله الأكرمين ، ورضي الله عن أصحابه أجمعين ، وبعد :

فنقدِّم للقراء المحبِّين للقرآن الكريم ، الساعين لتدبُّره وفهم معانيه ، والمتابعين لدروس فضيلة : الشيخ العلامة يوسف القرضاوي ، هذا الكتاب النافع (في رحاب سورة الحجر) .

وأصل هذا الكتاب دروس تفسيريَّة ألقاها فضيلة الشيخ يوسف في المسجد الجامع بالدوحة (جامع الشيوخ) وقد ألقى هذه الدروس في محفل كبير من المستمعين الحريصين على مجالس العلم ، كما نقلت هذه الدروس النافعة عبر قناة (الرسالة) الفضائية ، وقد انتفع بمشاهدتها وسماعها ألوف بل ملايين المشاهدين المتدبرين للكتاب المبين .

وألقى فضيلة الشيخ تفسير هذه السورة الكريمة في سبعة مجالس كلها عقب صلاة المغرب من يوم الجمعة ٢٠٠٧/٤/١٣م وذلك بعد أن ختم تفسير سورة إبراهيم ، وابتدأ بالآيات الأولى من سورة الحجر .

المجلس الثاني : ٢٠٠٧/٤/٢٠م من الآية العاشرة : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ** ﴾ إلى الآية الحادية والعشرين : ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ .

المجلس الثالث : ٢٠٠٧/٤/٢٧م بدءًا من الآية الثانية والعشرين : ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ** ﴾ إلى الآية التاسعة والثلاثين : ﴿ **قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ .

المجلس الرابع : ٢٠٠٧/٥/١١م بدءًا من الآية التاسعة والثلاثين : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ، إلى الآيتين الكريمتين ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾

(الحجر:٤٩،٥٠).

المجلس الخامس : ٢٠٠٧/٦/١م بدءًا من قوله تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ (الحجر:٤٩،٥٠) إلى الآية السابعة والسبعين : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

المجلس السادس : ويبدأ من الآية الثامنة والسبعين إلى الآية الرابعة والثمانين . وهي قوله تعالى : ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .

المجلس السابع والأخير : ٢٠٠٧/٦/٨م بدءًا من الآية الخامسة والثمانين : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ إلي آخر السورة : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ .

ويتميز تفسير فضيلة الشيخ ـ حفظه الله تعالى ـ بما سبق ذكره من معالم في منهجه في التفسير ، كما تقدم فيما كتبته في أول تفسير سورة إبراهيم .

وأما خدمتى لهذا الكتاب ، فهي في عدة جوانب سبق ذكرها كذلك في مقدمة تفسير سورة إبراهيم .

- فقد أعدت قراءة الكتاب وتصحيحه وترقيمه بدقّة .
- وأعدتُ سماعَ الدروس ومقابلتها على الأصل المنسوخ ، واستدركت الكثير من التحريف والسقط الذي وقع من الناسخ . وتبين لي أن سماع المكتوب لا يقل أهمية عن مقابلة المخطوط . ولذا حرصت على المقابلة حرصًا تامًّا .
- وضعت العناوين الجانبية المضيئة الموضحة للنص .